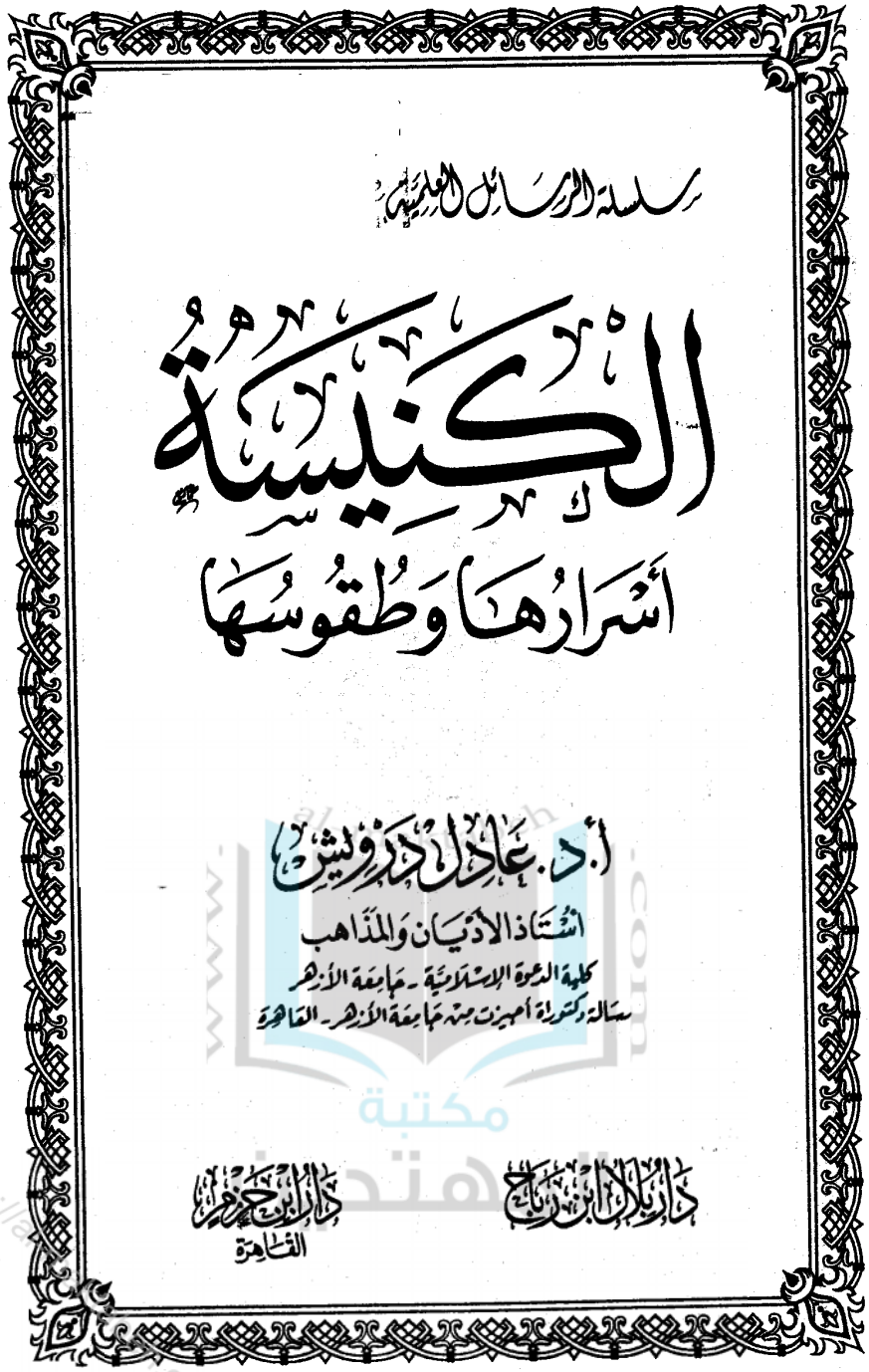

المبحث الثاني

بيان عقيدة الصلب والفداء عند النصارى ومناقشتها

أولا: بيان عقيدة الصلب والفداء:

يعتقد النصارى أن المسيح مات مصلوبًا فداء للخليقة، وذلك أن الله لشدة حبه للبشر من ناحية أخرى فقد أرسل وحيده ليخلص العالم من الخطيئة التي ارتكبها آدم حينما أكل من الشجرة المحرمة، وأن عيسى قد صلب عن رِضًى تامٍّ فتغلب بذلك على الخطيئة، وأنه دفن بعد صلبه وأنه قام بعد ثلاثة أيام متغلبًا على الموت ثم ارتفع إلى السماء.

وتعتبر عقيدة الصلب من أهم الأسس التي قامت عليها العقائد النصرانية، بل هي الأساس الذي تدور حوله هذه العقائد؛ فمسألة البنوة والتأليه في نظرهم علة لمسألة الصلب(١).

ومن لم يؤمن بقضية الصلب لا يعد نصرانيًّا، لذلك أدمجوا قضية الصلب في دستور إيمانهم الذي يجمع كل عقائدهم فقالوا فيه: (هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومريم العذراء، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس النبطي، وتألم وقُبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب)(٢).

وعلى هذا فالله ـ كما يزعم النصارى ـ نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومريم العذراء وتأنس وصلب، ورضي بإراقة دمه ليرفع على البشر وزر خطيئة آدم(٣).

---

(١) راجع: مشكلات العقيدة النصرانية صـ ١١٣، الفاروق بين المخلوق والخالق صـ ٤٠٠ والنصرانية والإسلام صـ٧١ هذا هو الحق رد على مفتريات كاهن كنيسة صـ٥٧.

(٢) راجع: المجامع المسيحية صـ٢٤٢.

(٣) راجع: الملل والنحل للشهرستاني صـ ٢٣٥ الأسفار المقدسة صـ ٩١ بين الإسلام والمسيحية صـ٧٢، دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام، منصور حسن منصور صـ ٢٠٢.

واشترط أتباع المسيح حمل الصليب تنفيذًا للوصية التي جاء فيها (من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني)[١]، وحول هذا النص يقول جورج فورد: (هذا بالأكثر هو التمثيل بالمسيح الذي حمل صليبًا لم يضعه آخر عليه بل هو قصد وأقامه وحمله حبًّا ليخلص النفوس من الخطيئة والهلاك)[٢].

ويمكن تلخيص عقيدة الصليب على النحو التالي:

١- الخطيئة الأصلية وتوارثها

خلق الله سبحانه وتعالى آدم وحواء عليهما السلام وأسكنهما الجنة، وأحل لهما كل أطيابها وما نهاهما عن شيء إلا عن شجرة واحدة وأوصاهما ألا يقرباها، ولكن آدم وحواء عَصَيَا ربهما وأكلا من الشجرة فترتب على ذلك سقوطهما في الخطأ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[٣].

ولكن هل أصر آدم وحواء على فعلتهما؟

يحدثنا القرآن الكريم أن آدم وحواء تابا إلى الله وندما على فعلتهما فقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[٥].

(١) مرقس: ٨/ ٣٤

(٢) القول الصريح في سيرة يسوع المسيح صـ٣٠٢.

(٣) سورة البقرة: الآيتان: ٣٥، ٣٦.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٣٧.

(٥) سورة الأعراف: الآية: ٢٣.

ويرفض القرآن الكريم أن تنسحب خطيئة آدم وحواء على كل الناس كما يعتقد علماء اللاهوت النصارى؛ فالمسؤولية الدينية في نظر القرآن الكريم شخصية محضة أنزل الله ذلك في آيات عدة[١] وقال تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾[٢]، ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾[٣]، ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ﴾[٤].

ولكن النصارى يرون أن الله تعالى لم يغفر لآدم خطيئته بل تقتصر هذه الخطيئة على آدم وحواء؛ فلقد امتدت حكم الدم الموبوء بالخطيئة إلى البشرية كلها على مر الأجيال[٥] ويؤكد ذلك القس إلياس مقار بقوله: (وغير خافٍ أن الأبوين الأولين لم يُصْبِحَا خاطئين فحسب بل مورثين الخطيئة لجميع أبنائهما على وجه التعاقب والاستمرار[٦]).

ويشير إلى ذلك بولس بقوله: (من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الميت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع)[٧].

وفي رسالة حنا مقار العيسوي إلى أبي عبيدة الخزرجي قوله:

(أما بعد، حمد الله الذي هدانا لدينه، وأيدنا بيمنه وخصنا بابنه ومحبوبه ومد علينا رحمته بصلبه يسوع المسيح إلهنا، الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، والذي فدانا بدمه المقدس، ومن عذاب جهنم وقانا ورفع عن أعناقنا الخطيئة التي كانت في أعماق

(١) بين الإسلام والمسيحية صـ١٠ بالهامش.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة النساء: الآية: ١١١.

(٤) سورة الإسراء: الآية: ١٥.

(٥) راجع: المسيح إنسان أم إله صـ١٤٣، ومشكلات العقيدة النصرانية صـ١١٤.

(٦) القضايا المسيحية الكبرى صـ٣٧٣، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل صـ٣٥٨ وما بعدها.

(٧) رومية: ٥/ ١٢.

بني آدم بسبب أكله من الشجرة، التي نهى عنها مخلصنا المسيح بدمه وفدانا بدمه وعذاب جهنم وقانا، أهرق دمه في مرضات جميع ولد آدم إذا كان الذنب باقيًا في أعناق جميعهم فكلهم تخلص منه إلا من كفر به وشك فيه...[١]).

فآدم حين ارتكب الخطيئة لم يعاقبه الله عليها ولم يقتص منه لأن جزاء الخطيئة[٢] هو الموت، ولكن الله لم ينفذ حكم الموت الجسدي في آدم الذي أنذره به في حالة العصيان: (حين تأكل منها موتًا تموت) بل أنقذه من هذا الموت، وذلك بتوقع الموت على حيوان عوضًا عنه، وإن كانت هذه الذبيحة الحيوانية في حد ذاتها غير كافية للفداء لكن لأنها كانت رمزًا إلى ذبيحة عظمى في نظر الله لذلك اكتسبت وقتئذ شرعًا قوة الفداء[٣].

وقد وضع النصارى للفدية شروطًا كلها تنطبق على عيسى لكي يبرروا صلبه ومنها:

(١) أن يكون هو نفسه بلا خطية ـ لأن المديون لا يستطيع أن يوفي دَين غيره.

(٢) أن يكون من جنس البشر لكي يكون العقاب صحيحًا.

(٣) أن تكون لطاعته وآلامه قيمة غير محدودة لكي يستطيع أن ينوب عن جميع البشر، ولا يكون كمجرد الذبائح الوقتية التي كان اليهود يقدمونها في العهد القديم.

(١) بين الإسلام والمسيحية صـ٥٩ وما بعدها صـ ٧٢ الأجوبة الفاخرة صـ٢٩٧.

(٢) سبق الحديث عن الخطيئة وأنواعها عند النصارى في الباب الثاني، الفصل الرابع، عند الحديث عن سر التوبة، وقد تبين أن الخطيئة عند النصارى نوعان: خطيئة موروثة، وخطيئة فردية، الخطيئة الموروثة التي يزعمون أنهم ورثوها عن آدم بعد عصيانه وأكله من الشجرة المحرمة، والخطيئة الفردية: هي التي يرتكبها الإنسان من تعدٍّ على الآخرين بالفعل والقول، وقد جاء الرد على عقيدة الخطيئة عند النصارى في نفس الفصل عند الحديث عن المسيح عليه السلام وصلته بسر التوبة عند النصارى.

(٣) راجع: فلسفة الغفران عوض سمعان صـ٨٠ مبادئ العقائد المسيحية صـ٢٦، يسوع المسيح في ناسوته ولاهوته صـ٨٦، المسيحية في الإسلام صـ١٦٠، الله واحد أم ثالوث صـ٣٨، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي صـ٣٦.

(٤) أن يكون في أسمى مرتبة ممكنه في نظر الله، لكي يقبل الله نيابته عن جميع البشر، وهذه الصفات كلها لا توجد إلا في شخص المسيح فهو إنسان كامل وإله كامل.....[١].

٢- العدل والرحمة:

يقول النصارى: إن الله من صفاته العدل والرحمة فبمقتضى عدله كان عليه أن ينفذ حكم الموت في آدم وحواء تنفيذًا لِوَعْدِهِ السابق: (لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت) ولكن بمقتضى رحمته كان عليه أن يعفو عنها بلا قيد ولا شرط[٢]).

وهكذا يتنازع الإنسان مطلبانِ: العدل بطلب تنفيذ الحكم عليه كاملًا لا تساهل فيه ولا تفريط، والرحمة تُطلب من جانبها الصفح عنه صفحًا تامًّا لا حساب فيه ولا عتاب، وَكِلاَ المطلبين يغاير الآخَرَ بل يناقضه، ومن المستحيل أن يتصرف تصرفًا تدعو إليه رحمته ويكون مناقضًا لعدله أو يفعل ما يتطلبه عدله وتناقضه رحمته، فارتباط الله بقانونه الذاتي يجعله لا يصنع رحمة تمس عدله، ولا عدلاً يمس رحمته[٣]).

فكيف يكون الحل لهذا المشكلة التي تجمع بين مطلبين متناقضين؟

يجيب على ذلك القس وديع ميخائيل قائلا: (كان لابد أن يتدخل الله نفسه لكي يحل مشكلة عدالته ورحمته، وما كان في الاستطاعة أبدًا إيجاد حل لهذه المعضلة إلا عن طريق الله خاصةً وأن العالم كله بدخول الخطيئة إليه اجتاز الموت إلى جميع أفراده بلا استثناء تحت قصاص من الله، وهنا يأتي دور التجسد وضرورته[٤]).

(١) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي صـ٢٨٣، كفارة المسيح صـ ١١٣، مبادئ العقائد المسيحية صـ٣٣.

(٢) راجع: المسيح إنسان أم إله ص١٤٣.

(٣) راجع: المسيحية في الإسلام: إبراهيم لوقا ص ١٦١.

(٤) راجع: براهين ألوهية المسيح ص ١١٢.

٣- الكفارة بسفك الدم:

يقول بولس في رسالته إلى العبرانيين: (وكل شيء تقريبا يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة[١]).

ولكن ما هي الفدية التي يمكن أن تكفر عن آدم وما هي الدماء التي يكفي سفكها لتخليص آدم وزوجته وذريته من الخطيئة ـ يقول إبراهيم لوقا: إن الفدية يجب أن تكون طاهرة من كل عيب ودنس، مقدسة بلا لوم، وليس في كائنات العالم بأسرها من هو طاهر وقدوس وبلا عيب سوى الله عز وجل، ويجب أن تكون أيضا عظيمة القدر توازي ثمن العالم بأجمعه سوى الله.

وهنا نشأت مشكلة أخرى هي أن الله لا جسد له يقدمه فدية عن العالم فلم يكن بد من أن يتخذ الله جسدًا فيه يتحد اللاهوت والناسوت، وهذا ما تم في السيد المسيح باعتباره اللهَ ظهر في الجسد، ففي المسيح كمال مَطْلَبَيِ العدلِ والرحمةِ، وهكذا كان لابد لله أن يتجسد ويتخذ صورة بشر ليموت عن البشر[٢]).

وعن هذا يقول بولس: : (لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة ومولدًا تحت ناموس يفتدي الذين هم تحت الناموس لننال التبني[٣]).

لكن لماذا كان موت المسيح عن طريق الصلب، ولم يمت بطريقة أخرى؟ يجيب على ذلك الأنبا شنودة الثالث بقوله:

(١) عب: ٩/ ٢٢.

(٢) راجع: المسيحية في الإسلام صـ١٦٢، خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية صـ٢٨ وما بعدها.

(٣) غلاطية: ٤/ ٤.

قد كان الموت بالصليب يعتبر عارًا فاختار الرب أشنع الميتات وأكثرها عارًا في ذلك الزمان؛ ولذلك يقول الرسول عن الرب إنه: (احتمل الصلب مستهينًا بالخزي[١]).

إذن في الصليب خزي؛ ولهذا يقول: فلنخرج إليه إذن خارج المحلة حاملين عاره؛ لأن الصليب كان معتبرًا عارًا، وفي العهد القديم كان الصليب يعتبر لعنة إذ قيل: (ملعون كل من عُلق على خشبة) والسيد المسيح أراد بالصليب أن يحمل كل اللعنات التي وقعت على البشرية، وأشار إليها الناموس[٢]، لكي يمنحنا بركة ولا تكون هناك لعنة فيما بعد، وكان الصليب يعتبر عثرة بالنسبة لليهود[٣]، فاختار المسيح هذا العار، وحول الصليب إلى قوة...

وكان الصليب أيضًا من أكثر أنواع الموت إيلامًا؛ إذ تتمزق فيها أنسجة الجسد بطريقة مؤلمة جدًّا كما يجف الماء الموجود في الجسد لكثرة النزيف والإرهاق الجسدي، والمسيح بهذا حمل الآلام ـ التي كانت تستحقها البشرية والصليب كان ميتة يرتفع فيها من يموت على الأرض، وهكذا قال المسيح: (وأنا إن أرتفع أجذب إلى الجميع، وهكذا كما ارتفع على الصليب، ارتفع إلى المجد في صعوده ورفعنا عن مستوى الأرض والتراب بصلبنا معه... وكان في موته باسطًا ذراعيه لكل البشرية إشارةً لقبوله الكل[٤]).

٤- الصلب ووصف عملية التنكيل والتعذيب التي مر بها عيسى «الإله المتجسد قَبْلَ صلبه»:

أسهب كُتَّابُ النصرانية في سرد نظرية الصلب، ووصف عمليه التنكيل والتعذيب

(١) عب: ١٢/ ٢.

(٢) راجع: تثنية: ٢٨.

(٣) أكو ١/ ١٨.

(٤) راجع: سنوات مع أسئلة صـ٤٨، ٤٩.

التي مر بها عيسى «الإله المتجسد» قَبْلَ صلبه، تتفق الأناجيل التي تعترف بها الكنيسة على أن المسيح قد صُلب، ولا يشذ عن هذه الأناجيل سوى إنجيل برنابا وهو من الأناجيل التي لا تعترف بها الكنيسة، كما تتفق الأناجيل الأربعة على أن المسيح كان يَعرف أنه سيُصلب، وكان يعرف الوقت الذي سيُصلب فيه، كما كان يَعرف على وجهِ التحديدِ أن تلميذَه يهوذا الإسخريوطي هو الذي سيسلمه لمن سيصلبونه، بل إن الأناجيل تذكر أن المسيح كان يعرف مقدمًا الحالة التي سيكون عليها كل تلميذ من تلاميذه؛ فيهوذا سيسلمه إلى أعدائه ليصلبوه، وبطرس سينكر معرفتَه به ثلاثَ مرات، وكلهم سيشكون فيه ليلة تسليمه[1].

وسأقتصر هنا على بعض ما ورد في الأناجيل حول هذه القضية، فيقول مرقس في إنجيله عن كيفية القبض على عيسى تمهيدًا لصلبه: (وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين، وكان رؤساء الكهنة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه ولكنهم قالوا: ليس في العيد لئلا يكون شغب... ثم إن يهوذا الإسخريوطي واحد من الاثني عشر، مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلمه إليهم، ولما سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة، وكان يطلب كيف يسلمه في فرصة موافقة... ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر وفيما هم متكئون يأكلون قال يسوع: الحق أقول لكم: إن واحدا منكم يسلمني الآكل معي فابتدءوا يحزنون ويقولون له واحدا فواحدا: هل أنا؟ وآخر: هل أنا؟ فأجاب وقال لهم: هو واحد من الاثني عشر الذي يغمس معي في الصفحة... وجاء إلى ضيعة اسمها جثيماني فقال لتلاميذه: اجلسوا هاهنا حتى أصلي، ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب، فقال لهم: نفسي حزينة جدًّا حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا، ثم تقدم قليلًا وَخَرَّ على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن، وقال: يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجرعني هذه الكأس).

(١) راجع: تاريخ الأقباط جـ١/ ٥٧ وما بعدها، خلاصة الأصول الإيمانية صـ٤٥ وما بعدها، القول الصريح في سيرة يسوع المسيح صـ٤٠٤، ٤٩٦، الحقيقة بين المسيحية والإسلام صـ ٤٦، المسيح والمسيحية والإسلام صـ١٧٤.

ويمضي مرقس في روايته فيقول: (وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وَعِصِيٍّ من عند رؤساء الكهنة والكنيسة والشيوخ، وكان مُسَلِّمه قد أعطاهم علامة قائلاً: الذي أُقَبِّلُهُ فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه[1]).

كما يذكر متى ما حدث للمسيح من صلب وتنكيل فيقول: (فقال لهم بيلاطس: ـ أي للشعب ـ فماذا أفعل بيسوع الذي يُدعى المسيح؟ قال له الجميع: لِيُصْلَب. فقال الوالي: وأي شر عمل فكانوا يزدادون صراخًا قائلين: ليصلب.

فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم، فأجاب جميع الشعب قالوا: دمه علينا وعلى أولادنا؛ حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب، فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية، وجمعوا عليه كل الكتبة فَعَرَّوْهُ وألبسوه رداءً قرمزيًّا وصفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمنيه. وكانوا يجثون قدامه يستهزئون به قائلين: السلام يا ملك اليهود، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه، وبعدما استهزؤوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصليب، وفيما هم خارجون وجدوا إنسانًا قيراوانيًّا اسمه سمعان فَسَخَّرُوهُ ليحملَ صليبَه، ولما أتوا إلى موضع يقال له جلجثة وهي المسمى موضع الجمجمة وأعطوه خَلًّا ممزجًا بمرارة ليشرب ولما ذاق لم يرد أن يشرب، ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها.... وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب... ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة ونحو التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلي إيلي لِمَ سبقتني، أي: إلهي إلهي لماذا تركتني..[2]).

(١) مرقس: ١٤ /١، ٢، ١٠، ١١، ١٧، ٢٠، ٣٢، ٣٦، ٤٣، ٤٦.
(٢) متى: ٢٧/ ٢٢ - ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤٥، ٤٦، راجع: الميسا المنتظر صـ ١٩٢، ٢٠٤.

وهكذا تمت المأساة بعد أن حوكم عيسى أمام الكهنة، وبعد ذلك وُضع في القبر واستمر ثلاثة أيام، وذهبت روحه خلالها إلى جهنم؛ لأن نفوس الأبرار من آدم إلى المسيح لم تخرج من الجحيم إلا بعد قيام المسيح من قبره[١]، ثم قام بعد ثلاثة أيام من موته واستمر أربعين يومًا ثم رُفع إلى العرش ليجلس عن يمين الأب ويحاسب الخلق يوم القيامة[٢].

هذه هي رواية الأناجيل لقضية الصلب، أو هي القاسم المشترك بينها؛ لأن الأناجيل الأربعة مختلفة اختلافًا كبيرًا في إيراد هذه القضية، وأن الإنسان ليتملكه العجب في اختلاف تلك الأناجيل في أساس هامٍّ من أسس الديانة النصرانية[٣]، وكان ينبغي على النصارى أن يحرقوا كل صليب يقدرون على إحراقه إن كانوا عقلاء[٤].

وبعد بيان هذه العقيدة الباطلة تتضح لنا علة تقديس النصارى للصليب وحمله، ولم يقتصر أمرُهم على ذلك، بل إنهم يرشمون وجوههم على هيئة الصليب صباحًا ومساءً، وفي كل الأوقات تقديسًا للصليب، ويعتبرون مجرد رسم علامة الصليب باسم الأب والابن والروح القدس فيها إعزازًا للصليب وإيمانًا بقوته القاهرة للشيطان والسحر والأعداء والسم وقوة النعمة والبركة التي يجلبها رشمه، كما أن فيها اعترافًا بحقائق الإيمان، وفي كل مرة يرشم بالصليب اعتراف بفداء المسيح وموته[٥] كما يعتقد النصارى أنه مجرد وقوف الخاطئ أمام الله ممسكًا بالصليب متوسلًا بدم المسيح تسقط عنه الخطيئة ويرفع عنه حكمها، وتزول لعنتها من عليه، لذلك يحملون الصليب ويقبلونه كثيرًا في الصلاة

(١) راجع: أدلة اليقين في الرد على المبشرين صـ٢٣٢، وخلاصة الأصول الإيمانية صـ٤٨ وما بعدها.
(٢) راجع: مشكلات العقيدة النصرانية صـ ١٤٢.
(٣) راجع: النصرانية والإسلام صـ٥٠ خلاصة الأصول الإيمانية صـ٥٠ وما بعدها.
(٤) راجع: هداية الحيارى صـ ٥٤.
(٥) راجع: مبادئ العقائد المسيحية صـ٨٢.

وخارجها، وهم في كل سجدة يقبلون الصليب لاعتقادهم أنهم به نالوا المواهب الكريمة وصار لهم قبول وجراءة وقدوم إلى الأب[١].

مناقشة عقيدة الصليب والفداء:

لقد أجمع النصارى على أن الإله صُلب تكفيرًا عن خطيئة البشر التي ارتكبها أبوهم آدم، وهذه الخطيئة لا يمكن أن تمحى إلا بحدوث عدة أمور:

أحدها: أن يصبح الإله جسدًا أو يرضى لنفسه أن يكون ذليلًا مهانًا.

ثانيها: أن ينتحر ذلك الإله ويقتل نفسه ويا ليته قتل نفسه بيده؛ لأن ذلك يكون فيه شيء من الكرامة لكنه أسلم نفسه صاغرًا مهانًا لليهود فصلبوه وعذبوه ولم يمكنوه من أن يشرب جرعة ماء.

ثالثها: أن يدخل نار جهنم ويعذب نفسه عذابًا أليمًا.

رابعها: أن يصير الإله ملعونًا بذلك الصلب[٢].

كل ذلك فعله الإلهُ ليمحوَ خطيئةَ آدم... فهل هذا يُعقل في حق الله سبحانه وتعالى، ولا شك أن هذا اعتقاد يُنبئ عن جهل بالغ وفاضح تُنكره العقول السليمة لعدة وجوه:

١- إذا كان الإله هو الذي خلق الخلق، وهو الذي فطرهم على هذه الحالة، ويعلم أن منهم المسيء ومنهم المحسن أزلاً، وأعد لكل منهم جزاء عادلاً، فلأي شيء يحزن ويجزع وينكسر قلبه لأجل خطاياهم، أما كان بالأجدر أن يخلق الإله القادر

(١) راجع توجيهات في الصلاة متى المسكين صـ٧٢٥.
(٢) راجع: أدلة اليقين في الرد على المبشرين صـ٢٣١.

ما لا يحزنه ابتداء؛ فإن قالوا: إنه لم يكن يعلم ابتداءً بما سيحدث فقد وصفوه بالجهل، وهذا يتنافى مع مقام الألوهية[١] [٢].

٢- إذا كان آدم قد أخطأ فما ذنبُ ذريته ليتوارثوا الخطيئة من بعده، وهذا مبدأ قد نهت عنه كل الشرائع، وقد صرحت التوراة التي بأيديهم بذلك؛ فجاء في سفر التثنية ما نصه: (لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد؛ فكلُّ إنسان بخطيئته يُقتل)[٣].

ويقول النبي أرمياء في تلك الأيام لا يقولون بعد الآباء أكلوا حِصْرِمًا وأسنان الأبناء ضرست، بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحِصْرِمَ تضرس أسنانه[٤].

ويقرر النبي حزقيال رفضَه لمبدأ توريث الخطيئة فيقول: (وأنتم تقولون: لماذا لا يحمل الابن إثمَ الأب؛ أما الابن فقد فعل حقًّا وعدلًا وحفظ جميع فرائض، وعمل بها فحياة يحيا النفس التي تخطئ هي تموت، والابن لا يحمل من إثم الأب شيئًا، والأب لا يحمل من إثم الابن شيئًا، بِرُّ البارِّ عليه يكون، وشرُّ الشرير يكون[٥].

كما أن المسيح يعتبر الأولاد أبرارًا وأتقياء ولم يولدوا خطاة، وهذا واضح من تصريحاته؛ فجاء في إنجيل متى ما نصه: (وقدموا إليه أولادًا لكي يلمسهم، وأما التلاميذ فانتهروا الذين قدموهم، فلما رأى يسوع ذلك اغتاظ وقال لهم:

(١) راجع: أدلة اليقين صـ٢٣٩، النصرانية والإسلام صـ٥١، وحقيقة التبشير صـ٥٢.
(٢) راجع: المسيحية صـ١٥٨، وأدلة اليقين في الرد على المبشرين صـ٧٢٧.
(٣) سفر التثنيه صح ٢٤/ ٢٦.
(٤) أرميا: ٣١/ ٢٩، ٣٠.
(٥) حزقيال: ١٨/ ١٩/ ، ٢٠.

دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم؛ لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله، الحق أقول لكم: من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله؛ فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم[١].

وهذا يتفق مع ما جاء به القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٢] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾[٣]. ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[٤]، وهل من العدل أن يضار البشر جميعا بسبب خطيئة ارتكبها آدم؟ وكيف رضي الله أن يخلد موسى وإبراهيم وسائر الأنبياء والمرسلين في النار بسبب خطيئة آدم؟

ثم ما بال المسيح يحتمل وزرَ جريرة آدم وَيَصْلَى ذلك العذاب الذي استغاث منه هذه الاستغاثة الشديدة، والتي سبق بيانها في قصة الصلب، ويا ليته كان المسيح فحسب بل الإله كله حل فيه، فالخطيئة لم تقتصر على النوع الإنساني، بل تعدته إلى الإله فذاق مرارة العذاب ألونًا[٥].

٣- وإذا كانت الكلمة قد تجسدت لمحو الخطيئة الأصلية فما العمل في الخطايا التي توجد بعد ذلك؟ ومنها ما هو أعظم من خطيئة آدم؛ مثل إنكار وجوده سبحانه وتعالى أو السخرية والاستهزاء به، بل قتله كما يقولون؟ فما فائدة صلبه إذًا عن خطيئة واحدة، وترك خطايا أعظم جرمًا منها؟[٦].

(١) مرقس: ١٠ / ١٣: ١٦.
(٢) الإسراء: من الآية: ١٥.
(٣) سورة فصلت: الآية ٤٦.
(٤) الإسراء: من الآية صـ١٣.
(٥) راجع: المسيحية صـ١٥٨.
(٦) راجع: النصرانية والإسلام صـ٥٢.

٤- وإذا كانت الخطيئة قد بطلت بمجيئه فالذين قتلوه من اليهود غيرُ آثمين ولا خاطئين؛ لأنه لا خاطئ بعد مجيئه ولا خطيئة، وكذلك الذين قتلوا حواريه، وأحرقوا أسفاره غير خاطئين، وكذلك من يفسق من جماعتهم منذ ذلك الدهر إلى الآن ويقتل ويسرق ويزني ويكذب ويرتكب كل ما نهي عنه غير خاطئ - كما ينبغي أن يكون اليهود محل احترام النصارى؛ لأنهم خلصوهم من الخطايا وأحيوهم حياة أبدية[1].

٥- يدعي النصارى أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، فأي عدل وأي رحمة في صلب وتعذيب غير المذنب، وما وضعت العقوبات في الشرائع الإلهية إلا لتأديب الجناة ليكفوا غيرهم عن ارتكاب الجرائم، فمن العدل إذن أن تقع العقوبة على المخطئ لا على غيره؛ وإلا كان هذا عبثًا فكيف يصح إذًا أن يُعاقب المسيح «الإله المتجسد» الذي لم يقع منه جُرْم؟ فإن قالوا: إنه قد قَبِلَ ذلك قلنا: إن مَنْ يراجع قصة الصلب يجد أنه قد جزع جزعًا شديدًا من هول ما سيلاقيه من الموت، ومن ذلك ما ورد في متى: (حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها: جثسيماني فقال للتلاميذ: اجلسوا ها هنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابن زيدي وابتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم: نفسي حزينة جدًّا حتى الموت، امكثوا هنا واسهروا معي، ثم تقدم قليلًا وَخَرَّ على وجهه، كان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنتَ)[2].

وجاء في نفس الإنجيل: (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم: إيلي إيلي لم شبقتني، أي: إلهي إلهي لماذا تركتني)[3].

(١) راجع: النصيحة الإيمانية صـ ٢٣٠، والمسيحية صـ ١٥٩، ١٦٠.
(٢) متى٢٦/ ٣٨، ٣٩.
(٣) متى ٢٧/ ٤٥، ٤٦.

فإذا كان المسيح «الإله المتجسد» قد سَلَّمَ نفسَه باختياره فَلِمَ أصيب بكل هذا الجزع والخوف، ولم دعا اللهَ من أجل أن يرفع عنه هذه البلوى؟ فهل مع كل هذا يكون هو الإله؟ وهل يجزع الإله؟ أو يناجي نفسه؟ ولكن ها هم النصارى الذين أَلْغَوْا عقولهم فلم يدركوا للكلام معنًى؛ لأن المتأملَ في هذه النصوص يجد أن ذلك المصلوب المسكين يعلم أن فوقه قوةً أخرى هي قوة الإله فهو يناجيه[1].

كما أن ما نسبوه للمسيح من كلام يدل على عدم رضاه عليه السلام بقضاء الله وقدره، وعدم التسليم لحكم الله وأمره، وعيسى عليه السلام مُنَزَّهٌ عن ذلك كله فيكون المصلوبُ غيرَه، وقد جاء في أسفار العهد القديم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وهارون عليهم السلام لما حضرتهم الوفاة كانوا مستبشرين فَرِحِينَ بلقاء ربهم ولم يجزعوا من الموت أو يهابوه مع أنهم عبيد الله وأنبياؤه والمسيح - كما زعموا ابن الرب؛ فكان من الواجب أن يكون أثبتَ منهم، وقد ذكروا عكس ذلك، فدل على أن المصلوب غيره[2].

٦- لماذا كان عيسى وحده مسئولاً من بين كل البشر عن خطيئة آدم؟ ولماذا يتحملها وحدَه؟ إن عيسى عند النصارى متحمل لكل خطايا البشر، وهم يحصرون الإيمان والنجاة في الاعتقاد بصلبه وفدائه، وهذا هو طريق النجاة والبراءة من النار ودخول الجنة والعودة إليها.

وما هي مضادة غفران الخطايا للعدالة؟ ألا يتعارض هذا مع صفة الرحمة؟ إن الكتاب المقدس الذي بين يَدَيِ النصارى يذكر أن الله سبحانه صفح وتاب

(١) راجع: أدلة اليقين في الرد على المبشرين صـ ٢٣٧.
(٢) راجع: بين الإسلام والمسيحية صـ ١٦٤.

على أهل نينوى عندما صاموا وتابوا[١] إلا أن النصارى يقولون: إن الصوم والصلاة والصدقة والتوبة لا تُجدي شيئًا؛ لأنها طريقة بشرية ولا بد في التوبة من وسيلة إلهية؛ وهي أن يصلب نفسه على الصليب ولا تدري ما هي الحكمة من ذلك؟

٧- إذا كان النصارى يقولون بأن المسيح قد صُلب ومات ودفن في قبره ومكث ثلاثة أيام في القبر وهو عندهم الإله المتأنس الخالق والرازق والمدبر... فمن كان يقوم إذن برزق الخلق في تلك الأيام؟ ومن كان المدبر للسموات والأرض؟ وكيف كان حال الوجود وإلهه في القبر؟ وهل دفنت الكلمة معه؟ فالقبر الذي وسع الكلمة لابد وأنه كان عظيمًا وإن أسلمته وذهبت فكيف أمكنه المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج[٢].

وإن اعتقاد النصارى في الصلب والفداء كاعتقاد أهل الوثنية؛ إذ يعتقدون أن ألهتهم المتجسدين نزلوا إلى الجحيم بعد قتلهم أو صلبهم ليخلصوا الأموات[٣].

٨- بالرجوع إلى أسفار الكتاب المقدس لدى النصارى يُلاحظ أنه لم يَرِدْ على لسان المسيح ولا غيره من الأنبياء الذين جاءوا قبله نصٌّ واحد يشير من قريب أو بعيد إلى هذه الخطيئة الأزلية الموروثة عن آدم وحواء، إنما نجد عند المسيح عليه السلام حديثًا بل أحاديث عن الخطيئة والخطايا، تلك الخطيئة والخطايا التي يرتكبها الناس أنفسهم بما تقترف أيديهم وألسنتهم، وهذا واضح غاية الوضوح في صلب الدعوات التي لقنها لتلاميذه فجاء فيها ما نصه: (واغفر لنا

(١) راجع سفر يونان ص ٢.

(٢) راجع: الأجوبة الفاخرة صـ٢٦٩

(٣) راجع: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية صـ ١٥١.، الهند القديمة حضارتها ودياناتها صـ٢٢٢، أديان العالم صـ ٩٧، ومبادئ العقائد المسيحية صـ ٤٦.

كما نحن نغفر لمن أخطأ إلينا)[١]، وكذلك قوله: (فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يَغفر لكم أيضا أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم[٢]).

اختلاف روايات الأناجيل في الصلب:

ومما يدل أيضا على بطلان عقيدة الصلب عند النصارى اختلاف روايات الأناجيل الواردة في هذا الموضوع في نقاط عديدة منها:

١- اختلافهم في حامل الصليب:

يقول مرقس: (ثم خرجوا بعد ليصلبوه، فسخروا رجلًا مجتازًا كان آتيًا من الحقل، وهو سمعان القيرواني أبو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه، وجاءوا به إلى موضع جلجثة الذي تفسيره موضع الجمجمة[٣]).

وتتفق رواية متى ولوقا ورواية مرقس في أن حامل الصليب هو سمعان القيرواني، أما يوحنا فيقول: إن حامل الصليب هو المسيح نفسه فيقول: (حينئذ أسلمه بيلاطس إليهم ليصلب فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة، ويقال له بالعبرانية جلجثة[٤]).

يقول دينس ينهان: (لقد كان المعتاد أن يقوم الذين حكم عليهم بالصليب بحمل صلبانهم بأنفسهم... ويقر يوحنا أن هذا كان ما حدث فعلًا في حالة يسوع. ولكن على

(١) متى ٦/ ١٢.

(٢) متى: ٦/ ١٤، ١٥.

(٣) مرقس: ١٥/ ٢٠ - ٢٢.

(٤) يوحنا: ١٩/ ١٦، ١٧.

العكس من ذلك نجد حسب رواية مرقس (ومتى ولوقا) أن شخصًا مجهولًا يُدعى سمعان القيرواني هو الذي سخره الرومان لحمل الصليب بدلًا من يسوع[١].

٢- ما ورد في الأناجيل عن شراب المصلوب:

يقول مرقس: (أعطوه خمرًا ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل)[٢] ويقول لوقا: (والجند أيضا استهزءوا به وهم يأتون ويقدمون له خلاً)[٣]، ويقول متى: (أعطوه خلاً ممزوجًا بمرارة ليشرب ولما ذاق لم يرد أن يشرب)[٤].

يقول أبو عبيدة الخزرجي: (الأناجيل كلها مصرحة بأنه عليه السلام كان يصوم أربعين يومًا وليلة، ويقول للتلاميذ: إن لي طعامًا لستم تعرفونه، ومن يصبر على ذلك العطش والجوع أربعين يومًا وأربعين ليلة كيف يُظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يومٍ واحدٍ؟ هذا لا يفعله أدنى الناس، فكيف بخواص الأنبياء؟ أو كيف بالرب تعالى على ما تدعونه؟ فيكون حينئذ المدعي للعطش غيره، وهو الذي شُبِّهَ لكم[٥].

٣- سبب الصلب وعلته:

يقول لوقا: (وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية: هذا هو ملك اليهود[٦] ويقول مرقس: (وكان عنوان علته مكتوبا: ملك اليهود[٧]) يقول متى:

(١) راجع: المسيح في مصادر العقائد المسيحية صـ ١٦٦، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل صـ٤٤٢، الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢/ ٤٣.
(٢) مرقس: ١٥/ ٢٣.
(٣) لوقا: ٢٣/ ٣٦.
(٤) متى: ٢٧/ ٣٤.
(٥) بين الإسلام والمسيحية صـ ١٦٤.
(٦) لوقا: ٢٣/ ٣٨.
(٧) مرقس: ١٥/ ٢٦.

(يجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة: هذا هو يسوع ملك اليهود[١] ويقول يوحنا: (وكتب بيلاطس عنوانا ووضعه على الصليب، وكان مكتوبا: يسوع الناصري ملك اليهود[٢]).

ومن الواضح أن الروايات الأربع لم تتفق على صيغة العبارة المكتوبة؛ مما يدل على أنها روايات غير صحيحة. إن الحقيقة تبقى هنا دائما محل خلاف.

٤- اللصان والمصلوب:

يقول «مرقس»: (وصلبوا معه لصين؛ واحد عن يمينه وآخر عن يساره..... واللذان صُلبا معه كانا يعيرانه[٣])، ويتفق متى مع مرقس في أن اللصين كانا يعيرانه، ولكن لوقا يقول: (وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا: إن كنتَ أنتَ المسيحَ فخلص نفسَك وإيانا، فأجاب الآخرُ وانتهره قائلا: أو +++لا أنت تخاف الله؛ إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه، أما نحن فبعدل؛ لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئًا ليس في محله. ثم قال ليسوع: اذكرني يا رب متى جئتُ في ملكوتك. فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس[٤].

ولقد اختلفت الأناجيل أيضا في موقف اللصين من المصلوب، ولا شك في تكذيب هذه الوقائع وأن قائليها طالت عليهم الأزمانُ إلى أن يقولوا أشياء ليسوا منها على يقين[٥].

يقول الإمام «ابن حزم»: إحدى القضيتين كَذِبٌ بلا شك؛ لأن متى ومارقس أخبرا بأن اللصين جميعا كانا يسبانه، ولوقا يخبر بأن أحدهما كان يسبه والآخر كان ينكسر

(١) متى: ٢٧/ ٣٧.
(٢) يوحنا: ١٩/ ١٩.
(٣) مرقس: ١٥/ ٢٧، ٣٢.
(٤) لوقا: ٢٣/ ٣٩ - ٤٣.
(٥) راجع: شفاء الغليل في الرد على من حَرَّفَ الإنجيل صـ٦٠.

على الذي يسبه ويؤمن به، والصادق لا يكذب في مثل هذا. وليس يمكن هاهنا أن يُدَّعَى أن أحد اللصين سبه في وقتٍ آمَنَ فيه آخَرُ، ولأن سياق خبر لوقا يمنع من ذلك ويخبر أنه أنكر على صاحبه سبه، وإنكار من لم يساعده قط على ذلك، وكلهم متفق على أن كِلاَ اللصين وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشب، فوجب ضرورة أن لوقا كذب، أو كذب من أخبره، أو أن متى كذب مارقس أو الذي أخبره ولابد[١].

٥- وقت الصلب:

يقول «مرقس»: (وكانت الساعة الثالثة فصلبوه[٢]). أما يوحنا فيذكر أن ذلك حدث بعد الساعة السادسة: (وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة. فقال بيلاطس لليهود: هو ذلك ملككم فصرخوا: خذه اصلبه.... فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب[٣].

يقول «ينهام»: (منذ اللحظة التي روى فيها القديس مرقس إنكار الناس ليسوع نجد أن الوقت قد خُطط بعناية بحيث تكون الفترة ثلاثية الأحداث أو التوقيتات؛ مثل: إنكار بطرس ثلاثَ مرات[٤] وقت الصلب الساعة الثالثة[٥] وقت الظلمة من السادسة إلى التاسعة[٦] وقت المساء[٧] وفي هذا المثل على الأقل فإن الحساب يبدو مصطنعًا؛ إذ أنه من الصعب أن كل ما روته الأعداد ١٥: ١ - ١٤ يمكن حدوثه في فترة الثلاث ساعات ويبين إنجيل يوحنا[٨] بوضوح أن ذلك لم يحدث.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢/ ٤٤ الأجوبة الفاخرة صـ ١١٣.
(٢) مرقس: ١٥/ ٢٥.
(٣) مرقس ١٩: ١٤ – ١٨.
(٤) راجع: مرقس ١٤/ ١٨، ٧٢.
(٥) مرقس: ٢٥/ ٢٥.
(٦) مرقس: ١٥/ ٢٥.
(٧) مرقس: ١٥/ ٤٢.
(٨) يوحنا ١٩/ ٤٤.

٦- صلاة المصلوب:

وبشأن صلاة المصلوب يقول لوقا: (ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين واحدًا عن يمينه والآخر على يساره. فقال يسوع: يا أبتاه، اغفِر لهم؛ لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون)[١] ولقد انفرد لوقا بذكر هذه الصلاة التي حذفتها الأناجيل الأخرى.

٧- صراخ المصلوب:

يقول مرقس: ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمةٌ على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة. وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إلوي إلوي لِمَ شبقتني؟ الذي تفسيره: إلهي إلهي لماذا تركتني[٢] ويتفق متى مع مرقس في أن المصلوب صرخ[٣] ويقول لوقا: (نادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه في يديك أستودع روحي[٤] ويقول يوحنا: (فلما أخذ يسوع الخلَّ قال: أكمل. ونكس رأسه وأسلم الروح[٥].

فَمَتَّى ومرقس يصرخان بصراخ المصلوب، وبينما يكتفي لوقا بقوله: يا أبتاه في يديك أستودع روحي ولم يذكر يوحنا أن المصلوب صرخ.

٨- في أعقاب الصلب:

وعن أعقاب الصلب يقول متى: (وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد

(١) لوقا: ٢٣/ ٣٢، ٣٤
(٢) مرقس: ١٥/ ٣٢، ٣٤.
(٣) راجع متى: ٢٧/ ٤٦.
(٤) لوقا: ٢٣/ ٤٦.
(٥) يوحنا: ١٩/ ٣٠.

مكتبة المهتدين

القدسيين الراقدين وخرجوا من القبر بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا للكثيرين[١]) ويقول مرقس: (انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل، ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح فقال: حقًّا كان هذا الإنسان ابن الله[٢]. ويقول لوقا: (أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه؛ فلما رأى قائد المائة ما كان مجد الله قائلا بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًّا[٣] أما يوحنا فإنه لا يعلم شيئًا عن هذه الأحداث. فهل يوحنا لم يكن عنده علم بهذه الأحداث؟ أم أن الآخرين ذكروا ما لم يكن؟ فلا ندري أيًّا منهم على الصواب؟

٩- شهود الصلب:

يقول مرقس: (وكانت أيضا نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوس وسالومة اللواتي أيضا تبعنه وَخَدَمْنَهُ حين كان في الجليل، وَأُخَرُ كثيرات اللواتي صعدن معه إلى أورشليم[٤]).

ويقول متى: (وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل بخدمته، وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وبوس وأم ابني زيدي[٥]). ويقول لوقا: (وكان جميع معارفه نساء، وكن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك[٦]) ويقول يوحنا: (وكانت واقفات عند صلب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة

(١) متى: ٢٧/ ٥١ - ٥٣.
(٢) مرقس: ١٥/ ٣٨ - ٣٩.
(٣) لوقا: ٢٢/ ٤٥ - ٤٧.
(٤) مرقس: ١٥/ ٤٠، ٤١.
(٥) متى: ٢٧/ ٥٥، ٥٦.
(٦) لوقا ٢٣/ ٤٩

كلوبا ومريم المجدلية[١]) فلوقا لم يذكر أسماء نساء، ومرقس ذكر أسماء بعض النسوة ولم يذكر الأخريات اللاتي قال عنهن: إنهن كثيرات.

يقول جون فتتون: (لقد هرب التلاميذ عند القبض على يسوع، ورغم أن بطرس قد تبعه من بعيد إلى فناء دار رئيس الكهنة فإننا لا نسمع عنه شيئًا أكثر من هذا، وبعد إنكاره ليسوع؛ إن مرقس ومتى ولوقا يخبراننا أن شهود الصلب كن نساء تبعن يسوع من الجليل إلى أورشليم، وقد رأين دفنه واكتشفن القبر خاليا صباح الأحد وقابلن يسوع بعد قيامته[٢].

وبعد هذا العرض تبين أن روايات الأناجيل حول أحداث الصلب اختلفت حول حامل الصليب وشرابه وسبب الصلب وموقف اللِّصَّيْنِ من المصلوب، ووقت الصلب وصلاة المصلوب وصراخه وغيرها من الأحداث التي أعقبتَ الصلبَ والشهود وغيرها من الأحداث التي ذُكرت الأناجيل بشأن الصلب. فالأناجيلُ اختلفت فيما بينها اختلافًا جديًّا، وهو اختلاف يكفي لرفض ما يذكره أحد الأناجيل، وإذا أخذنا برواية الإنجيل الآخر وأيهما نرفض؟ وفي هذا ردٌّ على من يدعي من النصارى أن مسألة الصلب متواترة؛ فالعلم بها قطعي[٣].

يقول الشيخ عبد الوهاب النجار: لم تختلف الأناجيل الأربعة في مسألة من المسائل كاختلافهم في تفصيل مسألة صلب المسيح وقتله؛ فلا تكاد جزئية من الجزئيات في أحدهما تتحد في الجزئية نفسها في إنجيل آخر، ولما كانت هذه الأناجيلُ من تأليف قومٍ يدعي المسيحيون لهم الإلهامَ ويعتقدون خلوها من الخطأ: كان ينبغي أن تكون كتابتهم

(١) يوحنا: ١٩ / ٣٥.
(٢) راجع: مناظرة بين الإسلام والنصرانية صـ١٠٦.
(٣) راجع: عقيدة الصلب والفداء صـ٢٩، ٨٤.

في هذه الحادثة المهمة التي هي مناط النجاة ودعامة الإيمان في نظرهم متطابقةً متوافقةً بحيث لا يكونُ فيها اختلافٌ أصلاً؛ إذ النفسُ لا تطمئن إلى الأخذ بروايات إذا اتفقت في موضع واحد من قصةٍ جاءت فيها جميعُها؛ فإنها تتخالف في مواضع كثيرة، و إذا لم يكن الراوي أمينًا كلَّ الأمانة كانت الثقة في روايته والتصديق بها غير سائغ[1]).

ولقد اختلف النصارى أيضا في شكل الصليب؛ فقد ذُكر في قاموس الكتاب المقدس أن الصليب ثلاثةُ أشكالٍ: (×) والصليب (T) والصليب (+) وهذا نصُّ ما جاء في قاموس الكتاب المقدس (وللصلبان نماذج رئيسية ثلاثة، أحدهما المدعو صليب القديس إندارواس وهو على شكل(×) وثنيهما بشكل (+) وثالثهما بشكل السيف (T) وهو المعروف بالصليب اللاتيني، ولعل صليب المسيح كان من الشكل الأخير كما يعتقد الفنانون، والأمر الذي كان يسهل وضعُ الضحية وعنوانها على القسم الأعلى فيه[2].

فإذا كان النصارى مختلفين في شكل الصليب فهذا يؤكد أنهم اشتبه عليهم كل شيء فيما يتصل بالصلب، وأن الحقيقة غابت عنهم، وصدق الله تعالى إذا يقول: ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾[3] ومما يؤكد بطلانَ ما ذهب إليه القوم وأنهم مازلوا مشتبهين في المصلوب أن مجمع الفاتيكان المنعقد سنه ١٩٦٣ م أصدر وثيقة لتبرئة اليهود من دم المسيح جاء فيها: (إن اليهود لم يصلبوا السيد المسيح إطلاقًا، و إنما صلبوا شخصًا لم يعرفوه، ولو عرفوا أنه المسيح لم يفعلوا ذلك؛ فالرسول بطرس عندما نُوديَ عليه وسئل إذا كان يعرف المسيح قال: ليس هو ثلاث مرات، وقال: إنه ليس من تلاميذه، وهذا يعني أن أقربَ الناس إلى المسيح لم يعرفه فكيف يعرفه اليهود؟

(١) قصص الأنبياء صـ٥١٦، الفاروق بين المخلوق والخالق صـ٣٣٦.
(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ٥٤٦.
(٣) سورة النساء: الآية ١٥٧.

وجاء أيضا: ربما كان بطرس قد أنكر المسيح إنقاذًا له، وربما الرجل الذي قرروا صلبَه هو شخص آخر لا أحد يعرفه، فليس من المؤكد أنه هو المسيح... إذًا اليهود صلبوا رجلاً ليس من المؤكد أنه هو المسيح[1].

(١) راجع: تفاصيل المجمع وما ورد في جلساته الثلاثة وما ترتب على ذلك من ردود فعل في العالم النصراني واليهودي في كتاب: المجامع المسيحية صـ٤٣٨: ٤٧٤، دراسات في إنجيل مرقس تاريخيًا وموضوعيًا صـ٥٢٧: ٥٣١، بنو إسرائيل في القرآن والسنة صـ٥٨٣: ٥٨٤.